النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن صاف
طيب الريح حسن المنظر ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة منها الخير واللذة
والسرور والصلاح وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد
ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة
سفيهة منتنة ضرارة منها الشر والفساد وكذلك حكاه ابو محمد النوبختي عنهم قال
وزعم بعضهم ان النور لم يزل فوق الظلمة وقال بعضهم بل كل واحد الى جانب الآخر
وقال بعضهم النور لم يزل مرتفعا في ناحية الشمال والظلمة متحطة في ناحية الجنوب
ولم يزل كل واحد منهما مباينا لصاحبه قال النوبختي وزعموا ان كل واحد منهما له
اجناس خمسة اربعة منها ابدان وخامس هو الروح وابدان النور الاربعة
النار والنور والريح والماء وروحه المخ ولم يزل يتحرك في هذه الابدان وابدان
الظلمة اربعة الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا
ابدان النور الملايكة وسموا ابدان الظلمة شياطين وعفاريت وبعضهم يقول الظلمة
تيوالد الشياطين والنور تيوالد الملايكة وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز
منه والظلمة لا يقدر على الخير ولا يجوز منها وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق
بالنور والظلمة ومذاهب سخيفة فمنها انه فرض عليهم ما قالوا انه لم لا يدخروا الا
قوت يوم وقال بعضهم على الانسان صوم سبع العمر وترك الكذب والبخل
والسحر وعبادة الاوثان والزنا والسرقة وان لا يوذي ذا روح في مذاهب

طريقة اختترعوها بوافقتهم البادرة وذكر يحيى بن بشر النهاوندى ان قوما منهم
يقال لهم الدايصانية زعموا ان جبلة العالم كانت جبلة حسنة وكان يحاك جسم
البارى الذى هو النور زمانا فمناوى بها فلما طال ذلك عليه قصد تنحيها عنه
متوحدة فيها واختلط بها فتركب من بينهما هذا العالم النورى والظلمى فما كان من جهة
الصلاح فمن النور وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة وهولاء يقتالون الناس
ويخفونهم ويزعمون انهم يخلصون بذلك النور من الظلمة فى مذاهب سخيفة
والذى حملهم على هذا انهم راوا فى العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من اصل واحد
شيئان متضادان كما لا يكون فى النار التسخين والتبريد وقد رد العلماء عليهم فى
قولهم ان الصانع اثنان فقالوا لو كان اثنين لم يخل ان يكونا قادرين او عاجزين
او احدهما قادرا والآخر عاجزا ولا يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الآلهية
ولا يجوز ان يكون احدهما عاجزا فبقى ان يقال هما قادران تصورا ان يريدا ان
احدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه ومن المحال وجود ما يريده
انه فان تم مراد احدهما ثبت عجز الآخر وردوا عليهم فى قولهم ان النور يفعل الخير
والظلمة يفعل الشر انه لو هرب مظلوم واستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من
شر ولا ينبغى عد النفس فى الكلام مع هولاء فان مذاهبهم خرافات لا اصل لها

ذكر تلبيس ابليس على الفلاسفة وتابعيهم

انما تمكن ابليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة انهم انفردوا بآرائهم وعقولهم

ولم تلمحوا

وتكلموا بمقتضى ظنهم من غير التفات الى الانبياء فمنهم من قال بقول الدهرية وانه
لا صانع حكاه النوبختي للمصاحي وغيره عنهم وحكى يحيى بن بشر النهاوندي ان اوشنا
ارسطاطاليس واصحابه زعموا ان الارض كوكب في جوف هذا الفلك والفلك
في كل كوكب عوالم كما في هذه الارض وانهارا واشجارا كما في هذه الارض وانكروا
الصانع واكثرهم اثبت علة قديمة ثم قال بقدم العالم وانه لم يزل مع الله تعالى
ومعلولا له ومساوقا غير متاخر عنه بالزمان مساوقة المعلول بالعلة ونور الشمس
بالذات والدينة لا بالزمان فيقال لهم لم انكرتم ان يكون العالم حادثا بارادة قديمة
اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه فان قالوا هذا يوجب ان يكون بين
وجود الباري وبين المخلوقات زمان قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان
زمان ثم يقال لهم هل كان الحق قادرا على ان يجعل سمك الفلك الاعلى اكبر
مما هو بذراع او اقل مما هو بذراع فان قالوا لا يمكن فهو تعجيز لان ما لا يمكن ان يكون
اكبر منه ولا اصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا يمكن والواجب يستغني عن
علة وقد ستر واذهبهم بان قالوا الله عز وجل صانع العالم وهذا يجوز عندهم
لا حقيقة لان الفاعل مريد لما يفعله وعندهم ان العالم ظهر ضرورة لان الله تعالى
فعله ومن مذاهبهم ان العالم باق لا بداية لوجوده ولا نهاية قالوا له معلول علة
قديمة وكان المعلول مع العلة متى كان العالم ممكن الوجود ولم يكن قديما ولا معلوما
وقد قال جالينوس لو كان الشمس يقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في هذه المدة

الطويلة فيقال لهم قد يفسد الشئ بفتنة لا بالذبول ثم من اين انها لا تذبل وانها عندكم
مقدار الارض مائة وسبعين مرة ونحو ذلك فلو نقص منها مقدار جبال لم يبين ذلك
للحس ثم نحن نعلم ان الذهب والياقوت يبقيان الفسا وقد يبقيان سنين ولا يحس
نقصانها وانما الايجاد والاعدام بارادة القادر لا يتغير في نفسه ولا يحدث له صفة
وانما يتغير الفعل بارادة قديمة فصل وقد حكى ابو محمد النوبختي في كتاب الآراء
والديانات ان سقراط كان يزعم ان اصول الاشياء ثلثة علة فاعلة والعنصر و
الصورة واحد عز وجل هو العقل والعنصر هو الموضوع الاول للكون والفساد والصورة
جوهر لا جسم وقال آخر منهم احد هو العلة الفاعلة والعنصر المنفعل وقال اخر منهم العقل
رتب الاشياء هذا الترتيب وقال اخر بل الطبيعة فعلته وحكى يحيى بن بشر بن عمير
النهاوندي ان قوما من الفلاسفة قالوا الماشاهدنا العالم مجتمعا ومفرقا ومتحركا وساكنا
علمنا انه محدث ولا بد له من محدث ثم راينا ان الانسان يقع في الماء فلا يحسن السباحة
فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه او في النار فعلمنا ان ذلك الصانع معدوم
قال واختلف هؤلاء في عدم هذا الصانع على ثلث فرق فرقة زعموا انه لما اكمل العالم
استحسنه فخشي ان يزيد فيه او ينقص منه فيفسد فاهلك نفسه وخلاسنه العالم وبقيت
الاحكام تجري بين حيوانا ته ومطبوعاته على ما اتفق وقالت الفرقة الثانية بل ظهر في ذات
الباري ثولول فلم يزل يجتذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور في ذلك
الثولول وهو العالم وسائر الباري فكان الباقي منه سنورز وزعموا انه سيجتذب النور

من العالم

من العالم اليه حتى يعود كما كان ولضعفه عن مخلوقاته اهمل امرهم فنشأ المجوس وقالت

الفرقة الثالثة بل البارى لما اتقن العالم تفرقت اجزاؤه فيه فكل قوة فى العالم فهو

من جواهر اللاهوتية هذا الذى ذكره يحيى بن بشر نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ

مائتين وعشرين سنة ولولا انه قد قيل ونقل وفى ذكره بيان ما قد فعل ابليس تلبيسه

لكان الاولى الاضراب عن ذكره تعظيما لله عز وجل ان يذكر مثل هذا ولكن قد بينا وجه

الفائدة فى ذكره فصل وقد ذهب اكثر الفلاسفة الى ان الله تعالى لا يعلم شيئا وانما

يعلم نفسه وقد ثبت ان المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه فقد زاد وامرتبة المخلوق

على مرتبة الخالق وهذا اظهر فضيحة من ان يتكلم عليه فانظر الى ما زينه ابليس لهؤلاء الحمقى

مع اوهامهم كمال العقل وقد خالفهم ابو على بن سينا فقال بل يعلم نفسه ويعلم الاشياء

الكلية ولا يعلم الجزئيات وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة وكانهم استكثروا المعلومات

فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص ويوسن بقوله الا يعلم من خلق وقوله

يعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها وذهبوا الى ان علم الله وقدرته

موصوف بصفات فصل وقد انكرت الفلاسفة بعث الاجساد والارواح

هو ذاته فرارا من ان يثبتوا قديمين وجوابهم ان يقال انما هو قديم واحد موصوف بصفات

فصل وقد انكرت الفلاسفة بعث الاجساد والارواح الى الابدان ووجود

جنة ونار حماسين وزعموا ان تلك امثلة ضربت لعوام الناس ليفهم الثواب والعقاب

الروحانيين وزعموا ان النفس يبقى بعد الموت بقاء سرمدا اما فى لذات لا توصف

باب ٥

وهي الانفس الكاملة او لم لا يوصف وهي النفس المتلونة وقد يتفاوت درجات الالم
على مقادير الناس وقد ينجي عن بعضها الالم ويزول فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس
بعد الموت فلذلك لم نسمي عودها اعادة وان لها نعيما وشقاء ولا كن ما المانع من حشر
الاجساد ولم ينكر اللذات والالام الجسمانية في الجنة والنار وقد جاء الشرع بذلك
فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين والشقاوتين الروحانية والجسمانية واما اقامتكم الحقايق
في مقام الامثال فتحكم بلا دليل فان قالوا فلا بد ان يتخيل ونتوهم قلنا المقدرة لا يقف
بين يديها شيء على ان الانسان انسان بنفسه فلو صنع له بدن من تراب غير التراب
الذي خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو كما انه يتبدل اجزاؤه من الصغر الى الكبر وبالهزال
والسمن فان قالوا لم يكن البدن بدنا حتى يرقى من حالة الى حالة الى ان صار لحما وعرقا قلنا
قدرة الله لا تقف على المفهوم المشاهد ثم قد اخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان الاجساد
تنبت في القبور قبل البعث اخبرنا ابو بكر بن عبد الباقي البزاز قال اخبرنا ابو محمد الجوهري
قال اخبرنا عمر بن محمد بن الزيات قال حدثنا قاسم بن زكريا قال حدثنا ابو كريب قال
حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون
شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ثم قال ينزل الله تعالى ماء من السماء
فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شيء الا ويبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب
ومنه يركب الخلق يوم القيمة اخرجه البخاري ومسلم فصل وقد لبس ابليس على اقوام

من اهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم وآرائهم ان الصواب اتباع الفلاسفة
لكونهم حكماء قد صدرت منهم افعال واقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل
من حكمة سقراط وبقراط وافلاطون وارسطاطاليس وجالينوس وهولاء كانت لهم
علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنتهم امورا خفية الا انهم لما تكلموا
في الالهيات خلطوا ولذلك اختلفوا في الحيات والهندسيات وقد ذكرنا جنس
تخليطهم في معتقداتهم وسبب خلطهم في معتقداتهم وسبب تخليطهم ان قوى البشر
لا يدرك تلك العلوم الا جملة فالرجوع الى الشرايع وقد حكى لهولاء المتاخرين في
امتنا ان اولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرايع ويعتقدون انها
نواميس وحيلا فصدقوا ما حكى لهم عنهم فرفضوا شعار الدين واهملوا الصلوات ولابسوا
المحظورات واستهانوا بالحدود والشرع وخلعوا ربقة الاسلام فاليهود والنصارى
اعذر منهم لكونهم اولئك متمسكين بشرايع دلت عليه معجزات والمبتدعة في الدين
اعذر منهم لانهم يدعون النظر في الادلة وهولاء لا مستند لكفرهم الا ان علمهم بان الفلاسفة
كانوا حكماء وزيادة وقد حكى لهولاء عن الفلاسفة من مجد الصانع محال فان اكثر القوم
يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وانما اهملوا النظر فيها وسلم منهم قليل فتبعوا الاثر
الذين فسدت فهومهم بمرة وقد رايتنا من المتفلسفة من امتنا جماعة لم يمسهم التفلسف
الا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا مقتضى الاسلام بل فيهم من يصوم ويصلي ثم ياخذ
على الاعتراض في الخالق والنبوات ويتكلم في انكار بعث الاجساد ولا يكاد منهم احدا

الا وقد ضربه الفقر واضر به فهو عامة زمانه فى نسخة على الانذار والاعتراض على المقدور حتى قال لى بعضهم انا لا اخاصم الا من فوق الفلك وكان يقول كثيرا اشعارا فى هذا المعنى فمنها واخبرنا من وجود ما يقوم بنا اختيارا ولا علم فيقتبس كانه فى عنا ما نخلصنا منه ذكاء ولا لين ولا شموس ونحن فى ظلمات ما لها قمر يضيء فيها ولا شمس ولا قبس مدلهمين حيارى وقد تكيفنا جهل بجهتنا فوجهه عبس فالفعل فيه بلا رية ولا عمل والقول فيه كلام كله هوس ولما كانت الفلاسفة قريبا من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مد بعض اهل ملتنا يده الى التمسك بهذه وبعضهم يده بالتمسك بهذه فترى كثيرا من الحمق اذا نظروا فى باب الاعتقاد تفلسفوا واذا نظروا فى باب التزهد ترهبوا فنسال الله عز وجل ثباتنا على ملتنا وسلامة عن عدونا انه ولى الاجابة

ذكر تلبيسه على اصحاب الهياكل

وهم قوم يقولون بان لكل من روحانى من الروحانيات العلوية هيكلا اعنى جرما من الاجرام السماوية وهيكله ونسبته الى الروحانى المختص به نسبة ابداننا الى ارواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت قالوا ولا سبيل لنا الى الروحانى بعينه فنتقرب الى هيكله عبادة وقربان وقال اخرون لكل هيكل سماوى شخص من الاشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هولاء الصور وبجبوا الاصنام وبنوا الهياكل وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى

ان قوما قالوا الكواكب السبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد
والقمر هي المدبرات لهذا العالم وهن يصدرن عن امر الملاء الاعلى ونصبوا لها الاصنام على صورتها
وقربوا لكل واحد منها ما يشبه من الحيوانات فجعلوا لزحل صنما عظيما من الانك اعني ان
يقرب اليه بثور مسن يوتى به الى بيت تحته محفور وفوقه ورابزين من حديد على تلك
الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشي على ذلك الرابزين من الحديد فتعرض يداه
ورجلاه لقتالك ثم يوقد تحته النار حتى يحترق ويقول المقربون له مقدس انت
ايها الاله الاعلى المطيع على الشر الذي لا يعقل خير افقربنا لك ما نشتهي فتقبل منا واكفنا
شرك وشرار واحك للخبيثة ويقربون للمشتري صبيا طفلا وذلك انهم يشترون
جارية فيطاها السدنة للاصنام السبعة فيتحمل ويتزك حتى تضع ويأتون بها وبالصبي
على يديها ابن ثمانية ايام فيخصونه بالمال والابر وهو يبكي على يدي امه ويقولون ايها
الرب الخير الذي لا يعرف الشر لا قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك
في الطبيعة فتقبل قربانا وارزقنا خيرك وخيرار واحك للخيرة ويقربون للمريخ
رجلا اشقر امش ابيض الراس من السقرة ويأتون به فيدخلونه في حوض عظيم
ويشدون قيوده الى اوتاد في قعر الحوض ويملون الحوض زيتا حتى يبقى الرجل قايما
الى حلقه ويخلطون بالزيت الادوية المقوية للعصب المعفقة للحم اذا دار عليه الحول
بعد ان يغذى بالاغذية المعفقة للحم والجلد فيصبر على راسه فيسلخوا عصبه من جلده والقوه
تحت راسه فاتوا به الى صنم الذي هو على صورة المريخ فقالوا ايها الاله الشرير ذو القتن

والحوايج قربنا اليك ما تشتهيه فتقبل قربانا وتكفينا شرك وشرار واحك الخبيثة
ويزعمون ان الراس يبقى فيه الحياة سبعة ايام ويكلمهم ويعلم ما يصيبهم تلك السنة
من خير وشر ويقربون للشمس تلك المراة التى قتلوا ولدها للمشترى ويطوفون
بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة ايتها الآلهة النورانية قربنا لك ما تشتهيه
فتقبل قربانا وارزقنا من خيرك واعذنا من شرك ويقربون للزهرة عجوزا
شمطاء ماجنة يقدمونها بين يديها وينادون ايتها الآلهة الماجنة اتيناك بالمائة
قربنا بياض كبياضك وماجنة كمجانك وطرف كطرفك فتقبلها ثم ياتون بالحطب
فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار الى ان يحترق فيحسبون رمادها فى وجه الصنم
ويقربون للعطارد شابا اسم حاسبلكا تبا منا ويا ياتون به بجيله وكذا يفعلون
بالكل يخدعونهم ويجنونهم ويستعونهم ادوية العقل ويخرس الالسنة قال فيقدمون
هذا الشاب الى صنم النار ويقولون ايها الآلهة الظريف اتيناك بشخص ظريف
وبطيفك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين ويرتع ويحمل على اربع خشبات
حوله ويضرب فى كل خشبة النار حتى يحترق ويحرق الربع معها ويحسبون رماده فى
وجهه ويقربون للقمر رجلا اوم كبير الوجه ويقولون يا بريدالاله وخفيف الاجرام العلوية

ذكر تلبيسه على عباد الاصنام

كل محنة لبس بها ابليس على الناس فسبيلها الميل الى الحس والاعراض على مقتضى
العقل ولما كان الحس يباين بالميل دعى ابليس خلقا كثيرا الى عبادة الصور والبطل

هولاء على العقل مرة فمنهم من حسن له انها الآلهة وحدها ومنهم من زعم فيه قتيل
فطفنه فعلم انه لا يوافقه على هذا قرين له ان عبادة هذه تقرب الى الخالق فقالوا
انما نعبدهم ليقربون الى الله زلفا اخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ
قال اخبرنا ابو الحسين بن عبد الجبار قال اخبرنا ابو جعفر بن احمد الجوهري قال
حدثنا ابو علي الحسن بن علي
قال اخبرنا هشام بن محمد بن السايب الكلبي قال اخبرني ابي قال اول من عبدت
الاصنام ان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث ابن ادم في مغارة في
الجبل الذي اهبط عليه بارض الهند ويقال للجبل نود وهو اخصب جبل في الارض
قال هشام فاخبرني عن ابي صالح عن ابن عباس قال فكان بنو شيث يأتون جسد
آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بني قابيل ان لبني
شيث دوارين دورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان
اول من عملها قال هشام واخبرني ابي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا قوما
صالحين فماتوا في شهر فجزع عليهم ذووا قاربهم فقال رجل من بني قابيل هل لكم
ان اعمل لكم خمسة اصنام على صورهم غير اني لا اقدر ان اجعل فيها ارواحا قالوا
نعم فنحت لهم خمسة اصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتي اخاه وعمه
وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول وعملت على مهلائيل
بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم ثم جاء قرن اخر فعظموهم اشد من تعظيم

القرن الاول ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم اولونا هؤلاء الا وهم
يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم وعظم امرهم واشتد كفرهم فبعث الله اليهم
ادريس عليه السلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكانا عليا ولم يزل امرهم يشتد
مما قال الكلبي عن ابن عباس حتى ادرك نوح فبعثه الله نبيا وهو ابن اربع مائة
وثمانين سنة فدعاهم الى الله عز وجل في نبوته عشرين ومائة سنة فعصوه وكذبوه
فامر الله عز وجل ان يصنع الفلك ففرغ منها فركبها وهو ابن ستمائة سنة و
غرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان بين آدم ونوح الفا
سنة ومائتا سنة فاهبط الله هذه الاصنام من ارض الى ارض جدة فلما قصب
الماء بقيت على السمط فتشققت الريح عليها حتى دارتها قال الكلبي وكان عمرو بن لحي
كاهنا وكان يكنى ابا ثمامة له رئي من الجن فقال له عجل للسير والظعن في تهامة
والبشر بالسعد والسلامة ايت صف جدة تجد فيها اصناما معدة فاورد تهامة
ولا تهب ثم اوع العرب الى عبادتها تجب فاتى نهر جدة فاستثار بها ثم حملها حتى
ورد بها تهامة وحضر الحج فدعى العرب الى عبادتها فاطبقت فاجابه عوف بن عذرة
بن زيد اللات فدفع وداً فحمله وكان بوادي القرى بدومة الجندل وسماه ابنه
عبد ود فهو اول من سمي به وجعل عوف ابنه عامرا سادنا له فلم يزل بنوه يدنون
حتى جاء الله بالاسلام قال الكلبي فحدثني مالك بن حارثة انه راى وداً قال
وكان ابي يعتني باللبن اليه فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم خالد بن الوليد

من غزاة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم
فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلا من بني عبد ود يقال له قطن بن شريح
فاقبلت امه تقول شعر الا تلك الموءة لا تدوم ✤ ولا يبقى على الدهر النعيم ✤
ولا يبقى على الحدثان عفر ✤ له ام بشاهقة ورومم ✤ ثم قالت شعر
يا جامعا جامع الاجاود والكبد ✤ يا ليت امك لم تولد ولم تلد ✤ ثم اكتنفته
عليه فنشهقت فماتت قال الكلبي فقلت لمالك بن حارثة صف لي ود اكاني
انظر اليه فقال كان تمثال رجلا كاعظم ما يكون من الرجال قد برا ي قد نقش
عليه حلتان متزر بحلة مرتد باخرى عليه سيف قد تقلده وقد سكب قوسا
وبين يديه حربة فيها لواء وقضته فيها نبل يعني جعبته قال واجابت عمرو بن لحي
معضر بن نزار فدفع الى رجل من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان
بارض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر فقال رجل من العرب
تراهم حول قبلتهم عكوفا كما علقت هذيل على سواع يفضل جنابه صرمى لديه عتائر
من ذخائر كل راع واجابته مذحج ومن والاها واجابته همدان فدفع الى مالك
فدفع الى النعم بن عمرو المرادي يغوث فكان بالجوف من اليمن فعبده مذحج ومن والاها
واجابته همدان فدفع الى مالك بن مرثد بن جشم يعوق فكان بقرية يقال لها خيوان فعبده همدان ومن والاها من اليمن واجابته حمير فدفع الى رجل من ذي
رعين يقال له معدي كرب نسر فكان بارض سبا يقال لها بلخع فعبده حمير و

ومن والاها فلم يزالوا يعبدونه حتى هووهم ذو نواس فلم يزل هذه الاصنام
تعبد الى ان بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فامر بهدمها قال هشام
وحدثنا الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
رغت لي النار فرايت بين عمرو بن لحي تصير احمر ازرق بحس قصبه في النار
قلت من هذا قيل هذا عمرو بن لحي اول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب
السائبة وحمى الحام وغير دين اسمعيل عليه السلام لما سكن مكة وولد بها اولاد
فكثروا حتى ملاؤا مكة وتفوا الذين من كان بها من العمالين ضاقت عليهم مكة وقعت
بينهم الحروب والعداوات واخرج بعضهم بعضا فتسخوا البلاد والتماس المعاش
فكان الذي حملهم على عبادة الاوثان والحجارة انه لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل
حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا مكة
به كطوافهم بالكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسمعيل ثم عبدوا
ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسمعيل غيره فعبدوا
الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد
قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسمعيل يتمسكون بها من تعظيم
البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وايداء
البدن والاهلال بالحج والعمرة وكانت نزار يقول اذا اهلت لبيك اللهم
لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكان

مكة ٢

اول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان وسيب السائبة ووصل الوسيلة عمرو
بن ربيعة وهو لحى بن حارثة وهو ابن خزاعة وكانت ام عمرو بن لحى فهيرة بنت
الحارث هو الذى يلى امر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحى نازعته فى الولاية وقاتل
جدهم بنى اسمعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة ونفاهم عن بلد مكة وتولا حجابة
البيت من بعدهم ثم انه مرض مرضا شديدا فقيل له ان بالبلقاء من الشام حمة
ان اتيتها برأت فاتاها فاستحم بها فبرأ ووجد اهلها يعبدون اصناما فقال ما هذه
فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسالهم ان يعطوه منها فقعلوا
فقدم بها مكة والمدينة فكانت العرب تعظمه وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل
المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له ولم يكن
احد اشد اعظاما من الاوس والخزرج قال هشام وحدثنا رجل من قريش عن
ابى عبيدة بن عبده بن عبد بن ابى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال كانت
الاوس والخزرج ومن باحداهم ومن عرب اهل يثرب وغيرها يحجون و
يقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فاذا انفروا اتوه
فحلقوا عنده رؤسهم واقاموا عنده لا يرون لحجتهم تماما الا بذلك وكانت مناة
لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فهدمها يوم الفتح
ثم اتخذوا اللات بالطايف وهى الحدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكان
سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب

يعظمها وبها كانت العرب يسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت موضع منارة
مسجد الطايف اليسرى اليوم فلم يزل كذلك حتى اسلمت ثقيف فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا
العزى وهى احدث من اللات اتخذ ظالم بن اسعد وكانت بواد من نخلة الشامية
فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منه الصوت قال هشام و
حدثنى ابى عن ابى صالح عن ابن عباس قال كانت العزى شيطانة ياتى ثلث
مرات ينظر نخلة فلما افتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد
فقال ايت بطن نخلة فانك تجد ثلث مرات فاعضد الاولى فاتاها فعضدها
فلما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل رايت شيا قال لا قال فاعضد
الثانية فعضدها ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل رايت شيا قال لا
قال فاعضد الثالثة فاتاها فاذا هو بحبشة فاقشة شعرها واضعة يديها على عاتقها
يضرب بانيابها وخلفها دنيئة السادن وكان سادنها فقال خالد كفرانك
لا سبحانك انى رايت الله قد اهانك ثم ضربها فشق راسها فاذا هى
جمجمة ثم عضد الشجرة وقتل دنيئة السادن ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب قال هشام وكانت لقريش
اصنام فى جوف الكعبة وحولها واعظمها عندهم هبل وكان فيما يبلغنى من عقيق
احمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى ادركته قريش كذلك فجعلوا له

يدا من ذهب وكان اول من نصبه خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر وكان
فى جوف الكعبة وكان قدامه سبعة اقداح مكتوب فى احدها صريح الحقوة وان
كان ملصقا وفعوه وكانوا اذا اختصموا فى امر او اراد وا سفرا او علا توه
فاستقسموا بالقداح عنده وهو الذى قال له ابوسفيان يوم احد اعل هبل او
على دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلى واجل وكان لهم اساف
ونايلة قال هشام وحدث الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ان اسافا رجلا
من جرهم يقال له اساف بن يعلى ونايلة بنت زيد بن جرهم وكان يتعشقها
فى ارض اليمن فاقبلوا حجا جا فدخلا البيت فوجد غفلة من الناس وخلوة من
البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فاصبحوا فوجدوهما مسخين فاخرجوهما
فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب وقال
هشام لما مسخا حجرين وضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت
الاصنام عبدا معها وكان احدهما يلصق الكعبة والاخر فى موضع زمزم فنقلت
قريش الذى كان يلصق الكعبة الى الاخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما
وكان من تلك الاصنام ذو الخلصة وكان مروه بيضاء منقوشة عليه كهيئة
التاج بنوا له بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها و
تهدى لها خثعم وبجيلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير لاتكفينى ذا
الخلصة فتوجه اليه فسار اليه باحمس فقاتله خثعم وباهله فظفر بهم وهدم بيتان

ذى الخلصة واضرم فيه النار وقد الخلصة اليوم عتبة باب مسجد بنالة وكان
لاوس صنم يقال له الكفين فلما اسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل
بن عمرو فحرقه وكان لبنى الحارث بن شكر صنم يقال له سعير وكان لطى صنم يقال
له الفلس وكان لاهل كل دار من مكة صنم فى دارهم يعبدونه فاذا اراد احدهم
السفر كان اخر ما يصنع فى منزله ان يتمسح به واذا اقدم من سفره كان اول
ما يصنع اذا دخل منزله يتمسح به وفيهم من اتخذ بيتا ومن لم يكن له صنم ولا بيت
نصب حجرا مما استحسن ثم طاف به ثم سموها الانصاب وكان الرجل اذا اسفر
فنزل منزلا اخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها فاتخذه ربا وجعل ثلثا اثافى القدر
واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على مكة ودخل المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن
بسية قوسه فى عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا قائم امر بها فالقيت على وجوهها ثم اخرجت من المسجد فحرقت
وقد روى ابو صالح عن ابن صالح انه قال فى زمان نمرود عبدت الاصنام و
رجع من رجع عن الاسلام وقد روى عن مهدى بن ميمون قال سمعت ابا رجاء
العطاردى يقول لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا به لحقنا به
بسيلمة الكذاب لحقنا بالنار قال وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجرا هو
احسن منه نلقى ذلك ونأخذه فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بالغنم
فحلبنا

فحلبنا ها عليه ثم طفنا به وعن ابى رجاء العطاردى قال كنا نعد الى الرمل فنعلمه و
نحلب عليه فنعبده وكنا نعد الى الحجر الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه وعن ابى عثمان
الهندى انه يقول كنا فى الجاهلية نعبد حجرا فسمعنا منادى ينادى يا اهل الرجال
ان ربكم قد هلك فالتمسوا ربا فال فخرجنا على صعب وذلول فبينا نحن كذلك نطلب
اذا نحن بمنادى ينادى انا وجدنا ربكم او شبهه قال فجئنا فاذا حجر فنحرنا عليه
الجزر وعن عمرو بن عبسة قال كنت امرأ ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم اله
فيخرج الرجل منهم فيلتقى باربعة احجار فينصب ثلثة لقدره ويجعل احسنها الها
يعبده ثم لعله يجد ما هو احسن منه قبل ان يرتحل فيتركه ويأخذ غيره وعن شيخ
من ساكنى مكة قال سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت الاصنام والحجارة فقال
اصل عبادتهم الحجارة قالوا ليست حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وقال
ابو معشر كان كثير من اهل الهند يعتقدون الربوبية ويقرون بان الله تعالى
ملائكة الا انهم يعتقدون له صورة كاحسن الصورة وان الملائكة اجسام حسان
وانه وملائكته محتجبون بالسماء واتخذوا اصناما على صورة الله عندهم وعلى
صورة الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم وقيل لبعضهم ان
الكواكب والافلاك اقرب الاجسام الى الخالق فعبدوها وقربوا لها ثم علوا
الاصنام وبنا جماعة من القدماء بيوتا كانت للاصنام فمنها بيت على راس جبل بنا
باصبهان كان فيه اصنام اخرجها كشتاس لما تمجس وجعله بيت نار والبيت الثلثة

والثالث بارض الهند والرابع بمدينة بلخ بناه الضحاك على اسم الزهرة منوهر
فلما ظهر الاسلام خربه اهل بلخ والخامس بين بصنعا بناه الضحاك على اسم الزهرة
فخربه عثمان والسادس بناه قاموس على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم وذكر
يحيى بن بشر النهاوندي ان شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهمن ووضع لهم
اصناما وجعل اعظم بيوتهم بيتا بالملتان وهي مدينة من مدائن السند جعل فيه صنم
الاعظم الذي هو بصورة الهيولى الاكبر وهذه المدينة فتحت ايام الحجاج واراد قلع
الصنم فقيل لهم ان تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم كل سنة ما يجتمع له من المال فامر عبد الملك
بن مروان ان يتركه بالهند يجبى اليه من الفي فرسخ ولابد للحجاج ان يحمل معه دراهم
على قدر ما يمكنه من مائة الى عشرة آلاف لا يكون اقل منه ولا اكثر ومن لم يحمل
معه ذلك لم يتم حجه فيلقيه في صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم فاذا ذهبوا
قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة
الصنم ومصالحه قلت انظروا كيف تلاعب الشيطان بهولاء وذهب بعقولهم
فتحنوا بايديهم ما عبدوه وما احسن ما عاب الحق عز وجل اصنامهم فقال الهم ارجل
يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها فكانت الاشارة الى العباد اي انتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون
والاصنام عاجزة عن ذلك فكيف عبد التام الناقص ولو تفكروا لعلموا ان
الآله يصنع ولا يُصنع ويجبر وليس بمجبور ويقوم الاشياء به ولا يقوم بها و

وانما ينبغي للانسان ان يعبد من صنعه لا من صنعه وما خيل اليهم من ان الاصنام
تشفع محال ليس فيه شبهة يتعلق بها فنسال الله العافية ودواهيها بما ابتلاهولاء

ذكر تلبيسه على عابدي النار

قد تلبس ابليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقال هي الجوهر الذي لا يستغني عنه
العالم ومن ههنا زين عبادة الشمس وذكر ابو جعفر بن جرير الطبري انه لما قتل
قابيل هابيل وهرب من ابيه ادم الى اليمن اتاه ابليس فقال ان هابيل انما قبل
قربانه والكلة النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب انت نارا تكون
لك ولعقبك فبنا بيتا للنار فهو الاول من نصب النار وعبدها قال الحافظ
وجاء زرداشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى انه ينزل الوحي عليه
على جبل سيلان فدعا اهل تلك النواحي الى النار الذين لا يعرفون الا البر وجعل
الوعيد يتضاعف البر وزاقرانه لم يبعث الا الى اهل الجبال فقط وشرع لاصحابه
التقرب بالابوال وغشيان الامهات وتعظيم النيران مع امور سمجة قال ومن
قول زرداشت كان الله وحده فلما حالت وحدته فكر فتولد من فكره ابليس فلما
مثل بين يديه اراد قتله فامتنع منه فلما راى امتناعه دعاه الى يده وقد بنا
عابد النار لها بيوتا كثيرة فاول من رسم لها بيتا افريدون فاتخذ لها بيتا بطوس
واخر بخارا واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان واتخذ لها بيتا ابوقتاد بناحية بخارا
ونبت بعد ذلك بيوتا كثيرة لها وكان زرداشت قد وضع نارا زعم انها جاءت

من السماء فاكلت قربانهم وذلك انه بنا بيتا وجعل فى وسطه مرأة والف القربان
فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فوقع على المرأة فانعكس
على الحطب فوقعت فيه النار فقال لاتطفئوا هذه النار وقد حسن ابليس لاقوام
عبادة القمر ولاخرين عبادة النجوم قال ابن قتيبة كان قوم الجاهلية عبدوا
الشعرى العبور وعتوا بها وكان ابو كبشة الذى كان المشركون ينسبون اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من عبدها فقال قطعت السماء عرضا و
لم يقطع السماء عرضا بنجم غيرها فعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك الاوثان قالوا هذا ابن
ابى كبشة شبهته ومثله فى الخلاف كما قال بنو اسرائيل لمريم يا اخت هارون
اى شبيه هارون فى الصلاح وهما شعريان احدهما هذه والشعرى الاخرى هى
الغميصا وهى يقابلها وبينهما المجرة والغميصا من الذراع المبسوطة فى نجم الاسد
وتلك فى الجوزاء وزين لاخرين عبادة الملائكة قالوا هى بنات الله تعالى عما
يقولون علوا كبيرا وزين لاخرين عبادة الخيل والبقر وكان السامرى من قوم
يعبدون البقر فلهذا صاغ عجلا وجاء فى التفسير ان فرعون كان يعبد قيما
وليس فى هولاء من اجمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل

ذكر تلبيسه على الجاهل

قد ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الاصنام ومن اقبح تلبيسه عليهم ذلك

تقليد الاباء من غير نظر في دليل كما قال الله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ولو كانوا آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
والمعنى اي اتبعوا آباءهم ايضا وقد لبس على طايفة منهم وافقوا مذهب الدهرية
وانكروا الخالق وجحدوا البعث وهولاء الذين قال الله تعالى فيهم ما هي الا حيوتنا
الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما زالت الجهلة تبتدع البدع الكثيرة
فمنها النسي وهو تحريم الشهر الحلال وتحليل الشهر الحرام وذلك ان العرب كانت
قد تمسكت من ملة ابراهيم عليه السلام بتحريم الاشهر الاربعة فاذا احتاجوا الى تحليل
المحرم للحرب اخروا تحريمه الى صفر ثم يحتاجون الى صفر ثم كذلك حتى يتدافع
السنة وكانوا اذا حجوا قالوا لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك ومنها توريث الذكور دون الاناث ومنها ان احدهم اذا مات ورثت
زوجته اقرب الناس منه ومنها البحيرة وهي الناقة التي تلد خمسة ابطن
فان كان الخامس انثى شقوا اذنها وحرمت على النساء والسايبة من الانعام
ما يسيبونها فلا يركبون ولا يحلبون لها لبنا والوصيلة الشاة التي تلد سبعة
ابطن فان كان السابع ذكرا او انثى قالوا وصلت اخاها فلا يذبح وتكون في منافعها
للرجال دون النساء فان ماتت اشتركت فيها الرجال والنساء والحام
الفحل ينتج عشرة ابطن فيقولون قد حمى ظهره فينسبونه لاصنامهم ولا يحمل
عليه ثم يقولون ان الله امرنا بهذا وكذلك معنى قوله تعالى ولكن الذين كفروا

يفترون على الله الكذب ثم ان الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام وفيما احلوه بقولهم خالصة لذكورنا فقال الذكرين
حرم ام الانثيين المعنى ان كان حرم الذكرين فكل الذكور حرام وان كان حرم الانثيين
فكل الاناث حرام وان حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فانها تشتمل على الذكور
والاناث حراما وان حرم ما اشتملت عليه فيكون كل خبر حراما وزين لهم ابليس
قتل اولادهم فالانسان منهم يقتل ابنته ويقتد والكلبه ومن جملة ما لبس عليهم
ابليس انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا اى لو لم يرض شركنا حال بيننا وبينه
فتعلقوا بالمشية وتركوا الامر ومشية الله تعالى نعم الكاينات وامره لا يعم
مراداته فليس لاحد ان يتعلق بالمشية بعد ورود الامر بذا كلام استيناف
كان قد غير فاستونف وهو بعد قوله وما يهلكنا الا الدهر موصول بقوله وعلى
اخرين منهم فزعموا ان الملائكة بنات الله واما آخرين منهم الى مذهب اليهود
واخرين الى مذهب المجوس وكان هذا في بني تميم منهم زرارة بن حدس التميمي
وابنه حاجب وعلى اخرين قالوا بالخالق ولكنهم جحدوا بالرسول والبعث و
ممن كان يقر بالخالق والابتداء والاعادة والثواب والعقاب عبد المطلب
بن هاشم وزيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن ساعدة وعامر بن الضرب وكان
عبد المطلب قد راى ظالما لما نصبه مصيبة فقالوا تالله ان وراء هذه الدار
لدارا يجزى فيها المحسن والمسئ ومنهم زهير بن ابى السلمى القايل يوخر فيوضع

فی کتاب فیذخر لیوم حساب او یعجل فینتقم منا سلم ومنهم زید الفوارس
بن حصن ومنهم الفلتمین بن امیة الکنانی کان یخطبهم بفناء الکعبة وکانت العرب
لا یخبرهم شیئا لا یصدر عن مواسمها حتی یخطبها ویوصیها فقال یوما یا معشر العرب
اطیعونی ترشدوا قالوا وما ذلک قال انکم تقرّرتم بالهة شتی انی لاعلم ما بعد
بکل هذا رضی وان الله عزوجل رب هذه الالهة فانه یحب ان یعبد وحده
فتفرقت عنه العرب ذلک العام ولم یسمعوا موعظته وکان فیهم قوم یقولون
من مات فربطت علی قبره راحلته وترکت حتی تموت حشر علیها ومن
لم یفعل به ذلک حشر ماشیا ومن قال عمرو بن زید الکلبی واکثرهم لا یزل
علی الشرک وانما تمسک منهم بالتوحید ورفض الاصنام القلیل کقیس ومذاهبهم
الحنیفة التی ابتدعوها کثیرة لا یصح تضییع ولاهی مما یحتاج الی تکلف ذکرها

ذکر تلبیس ابلیس علی جاهد النبوات

قد لبس ابلیس علی البراهمة والهند وغیرهم فزین لهم جحد النبوات لیسد
طریق ما یصل من الآله وقد اختلف الهند فمنهم دهریة ومنهم ثنویة ومنهم علی مذهب
البراهمة ومن یعتقد بنبوة آدم وابراهیم فقط وقد حکی النوبختی فی کتاب
الاراء والدیانات ان قوما من الهند البراهمة اثبتوا الخالق والرسل والجنة
والنار وزعموا ان رسولهم ملک اتاهم فی صورة البشر من غیر کتاب له اربعة
ایدوانا عشر راسا من ذلک راس انسان وراس اسد وراس فرس

وراس فيل وراس خنزير وغير ذلك من رؤس الحيوان وانما امرهم بتعظيم
النار ونهاهم عن القتل والذبايح الا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر
واباح لهم الزنا وامرهم ان يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا راسه ولحيته
وحاجبه واشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى بديانات تضيع الوقت بذكرها
وقد القى ابليس الى البراهمة ستة شبهات الشبهة الاولى استبعاد اطلاع
بعضهم على خفى عن بعض فقالوا ما هذا الا انه مشكل والمعنى فكيف على ما خفى عنكم هذه الشبهة
انهم لو ناطقوا العقل لاجازت اختيار شخص يخص بخصايص يعلو بها على ابنا جنسه
فيصلح بتلك الخصايص لتلقف الوحى اذ ليس كل احد يصلح لذلك وقد علم الكل
ان الله تعالى يركب الامزجة متفاوتة واخرج الى الوجود اودية يقاوم ما يعرض
من الفساد البدنى فاذا امد النبات والاحجار بخواص لاصلاح البدن خلقت للفناء
ههنا وللبقاء فى الدار الاخرة لم يعبد ان يخص اشخاصا من خلقه بالحكمة البالغة و
الرعاية اليه اصلاحا لمن يفسد فى العالم بسوء الاخلاق والافعال ومعلوم ان المخالفين
لا يستنكرون ان يخص اقواما بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة
وكيف ينكرون امداد البارى وسجاله بعض الناس برسايل وقضايا يصلح بها العالم
ويطيب اخلاقهم ويقيم سياستهم وقد اشار عز وجل الى ذلك فى قوله تعالى ان
كان للناس عجبا ان يوحى الى رجل منهم ان انذر الناس الشبهة الثانية
قالوا اصلا ارسل ملكا فان الملائكة اليه اقرب ومن الشك فيهم البعد والآدميون

يخون

يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع ذلك وجواب هذا من ثلاثة اوجه احدها
ان في قوى قلب الجبال والصخور فلا يمكن اظهار معجزة تدل على صدقهم لان المعجزة
ما خرقت العادات وهذا عادة الملائكة وانما المعجزة الظاهرة على يد رجل ضعيف
يكون دليلا والثاني ان الجنس الى الجنس اهيل فصلح ان يرسل اليهم من جنسهم
ليلا نفروا التعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك بما عجز عنه جنسه دليل على صدقه والثالث
انه ليس في قوى البشر رؤية الملك وانما الله يقوي الانبياء بما يزكيهم من ادراك
الملائكة ولهذا قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لينظروا اليه ولما نسوا
ويفهموا منه قال وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى
يشكوا فلا يدركون املك هو ام آدمي والشبهة الثالثة قالوا نرى ما تدعيه
الانبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى اليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة و
السحرة فلم يبق لنا دليل تفرق بين الصحيح والفاسد والجواب ان يقول ان
الله تعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول للفرق فلا يقدر ساحر ان يحيي
ميتا ولا ان يخرج من عصى حية واما الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة
التي لا خطاء فيها بوجه والشبهة الرابعة قالوا لا يخلو ان يجيء الانبياء بما
يوافق العقل او بما يخالفه فان جاء بما يخالفه لم يقبل وان جاء بما يوافقه
فالعقل يغني والجواب ان نقول قد ثبت ان كثيرا من الناس يعجزون
عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون الى مستقيم كالحكماء والسلاطين فكيف بالامور

الالهية والاخرة والشبهة الخامسة قالوا قد جاءت الشرايع باشياء يقصر عنها
العقل فكيف يجوز ان يكون صحيحة من ذلك ايلام الحيوان والجواب ان
العقل ينكر ايلام الحيوان لبعضه لبعض فاما اذا حكم الخالق تعالى وانه لا فعل فيها و
لا نقص فاوجبت عليه هذه المعرفة والتسليم لما خفي عنه ومتى اثبتنا علينا امرا
في فرع لم نجز ان نحكم على الاصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم ان
الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق افضل حاليس بناطق بما اوتي من الفهم
والفطنة والقوى النظرية والعلمية وحاجة هذا الى بقايه مهند ولا يقوم في
ابقاء القوى مقام اللحم فلا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فايدة
عظيمة لما قلت فايدته وانما خلق الحيوان اللئيم للحيوان الكريم ولو لم يذبح
كثر وضاق به المرعى ومات فتاذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لايجاده فايدة
فاما الم الذبح فانه يسير وقد قيل لا يوجد اصلا لان الحساس للالم الغشية الدماغ
لان فيه الاعصاب الحساسة ولذلك اذا اصابها آفة من صرع ونحوه
لم يحس الانسان بالم فاذا قطعت الاوداج وسرى عالم بطل احساسهم الى محل الحس
ولهذا قال عليه السلام اذا ذبح احدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته
الشبهة السادسة قالوا اربما يكون اهل الشرايع قد ظفروا الخواص من حجارة
وخشب والجواب ان هذا الكلام ينبغي ان يتحمى من ايراده فانه لم يبق شيء
من العقائد الا وقد وضحت خواصها وبان سرها فلو ظفر لنا احد منهم بشيء واظهره

فاجبنه

خاصيته لوقع الانكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا هذا ليس منك انها هذه
خاصة في هذا ثم ان المعجزات نوع واحد بل هي من صخرة خرجت منها ناقة
وعصا انقلب حية وحجر يفجر عيونا وهذا القران الذي نزله منذ نزل دون السماية
سنة فالاسماع يدركه والافكار يتدبره والتحدي به على الدوام ولم يقدر احد
على مدانات سورة منه فاين هذا ان الخاصة والسحر والشعبدة قال ابو الوفا بن
عقيل رح ضنت قلوب اهل الالحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرايع بين الخلق
والاستئثال لاوامرها كابن الريوندي ومن شاكله كابي العلاء مع ذلك لا يرون
لمقالتهم نباهة ولا يوثر اثرا بل الجوامع تندفق زحاما والاذانات خلفه استماعهم
بالتعظيم لشان النبي صلى الله عليه وسلم والاقرار بما جاء وانفاق الاموال والانفس
في الحج مع ركوب الاخطار ومعداة الاسفار ومفارقة الاهل والاولاد فجعل بعضهم
يدين في اهل النقل فيضع الفاسد على الاسانيد ويضع السير والاخبار وبعضهم
يروي ما يقارب المعجزات من ذكر خواص في احجار وخوارق للعادات في
بعض البلاد واخبار عن العيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين ويبالغ في تقرير ذلك
حتى قالوا ان شخصا قال في الجني الذي خاله حية بر في احليل جهير والاسود كان يعيط
ويقول انشي فيل كونه وجهنا اليوم مغرمون يكلمون الجني الذي في باطن المجنون
فكلمهم بما كان ويكون وما شاء كل ذلك من الخرافات فمن راى مثل هذا قال لقلة
عقله وقلة تلمحه لقصد هولاء الملحدة وهل ما جاءت به البنوات الا يقارب هذا ويسير

قول الكاهن جبته برأى احيل مهر وقد اخفت هذا الاخفاء باكثر من قوله واينكم
بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم وهل هى لهذا وقع فى القلوب وهذا التقويم ينطق
بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلميح هذا الا الغنى واصد ما قصد وابذلك
الا قصد اظاهر او لمحوا لمحا جليا فقالوا تعالى انكشر الحوالات على البلاد والاشخاص
والنجوم والخواص فلا يخلو اجمع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه فصدق
بها الكل وبطل ما جاء بها الانبياء خرقا للعادات ثم درس قوم من الصوفية ان
فلانا اهوى بانائه الى رحله فاستلذ هبا فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات
من المتصوفين وبطريق العادات فى حق المنجمين وبطريق الخواص فى حق الطبايعيين
وبطريق الكهانة فى المغربين والعرافين فاى حكم بقى بقول عيسى واينكم بما تاكلون
وما تدخرون فى بيوتكم وان خرق بقى للعادات وهل العادات الا استمرار
الوجود وكثرة الحصول واذا انبهم العاقل المتدين على ما فى هذا من الفساد قال
الصوفى انكر كرامات الاولياء وقال اهل الخواص انكر المغناطيس الذى يجذب
الحديد والغمامة تبلع النار فيسكت من جحد ما لم يكن لاجل ما كان فويل للمحقق معهم هذا
والباطنية من جانب المنجمين والمنجمون من جانب مع ارباب المناصب ولا يعتقدون
ولا يحلون الا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلمتها حتى ان كل الطوايف
تحت قهرها اقبالا من الله سبحانه وتعالى حراسة للنبوات وقمعا لاهل المحال

فصل ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم ابليس احراق نفوسهم يتقربون بذلك

فصل

فيحفر الانسان منهم اخدودا ويجمع الناس فيجئ مضمخا بالخلوف والطيب و
تضرب بالمعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التى تعلق
بى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولا ويكون ثوابى الجنة ثم يلقى نفسه فى
الاخدود فيحترق فان هرب فابدوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم
من يجئ له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى ينقب جوفه ويخرج امعاه فيموت
ومنهم من يقف قريبا من النار الى ان يسيل ودكه فتسقط ومنهم من يقطع من ساقه
وفخذه قطعا ويلقيها الى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويقولون مثل
مرتبته حتى يموت ومنهم من يقف فى احشاء البقر الى ساقه ويشعل فيه النار
فيحترق ومنهم من يعبد الماء ويقول هو حياة كل شئ فيسجد له ومنهم من يحفر له
اخدودا قريبا من الماء فيقع فى الاخدود وحتى اذا التهب قام فانغمس فى الماء
ثم رجع الى الاخدود وحتى يموت فان مات وهو بينهما حزن اهله وقالوا حرم الجنة
وان مات فى احديهما شهد له بالجنة ومنهم من يرهق نفسه بالجوع والعطش
فيسقط اولا عن المشى ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم يبطل حواسه ثم يبطل حركته
ثم يحمد ومنهم من يهيم فى الارض حتى يموت ومنهم من يغرق نفسه فى النهر ومنهم من
لا يأتى النساء ولا يوارى العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل
بيده كتاب يقرأ فيه يقول طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبقج بطنه واخرج امعاه
بيده ومنهم من يأخذ الصخور فيرضّ بها جسده حتى يموت والناس يقولون

طوبى لك عندهم نهران فيخرج اقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال
ياخذون ما على العباد من الثياب ونطحونهم بنصفين ثم يلقون احد النصفين في نهر
والنصف الاخر في نهر ويزعمون انهما يجريان الى الجنة ومنهم من يخرج الى مراح
ومعه جماعة يدعون له ويهنونه فاذا اضجر جلس وجمع له سباع الطير فياكله
من كل جهة فيتضجر ومن ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون اليه فيبتدره الطير فياكله
فاذا تفرق الطير جاءت الجماعة فاخذوا من عظامه واحرقوها ويتركونها في افعال
طويلة قد ذكرها ابو محمد النوبختي تضيع الزمان في كتابتها والعجب ان الهند لتوجه عنهم
الحكمة ولهم دقايق الاعمال فسبحان من اعمى قلوبهم حتى قادهم ابليس هذا المقاد وقال
ومنهم من يزعم ان الجنة ثنتان وثلثين الف وستماية وعشرين سنة وكل مرتبة
اضعاف ما دونها وان النار اثنتان وثلثون مرتبة منها ستة عشر مرتبة
فيها الزمهرير وصنوف عذابه وستة عشر مرتبة الحريق وصنوف عذابه
فنسال الله تعالى ان يلهمنا الرشد

ذكر تلبيس ابليس على اليهود

قد لبس عليهم اشياء كثيرة نذكر منها نبذة يستدل بها على تلك فمن ذلك
تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان يشبههم لجاز عليه ما يجوز عليهم وحكى ابو عبد الله
بن حامد من اصحابنا ان اليهود تزعم ان اله المعبود رجل من نور على كرسي من
نور على راسه تاج من نور له اعضاء كالادمين ومن ذلك قولهم عزير ابن الله

ولو فهموا ان حقيقة النبوة لا يكون الا بالتبعيض والخلق ليس بذى ابعاض لانه
ليس بمولف لم يثبتوا نبوه ثم ان الولد فى معنى الوالد وقد كان عزير لا يقوم
الا بالطعام والآله من قامت الاشياء لا من قام بها والذى دعاهم الى هذا مع
جهلهم بالحقايق انهم راوه قد عاد بعد الموت وقرأ التورة من حفظه فتكلموا بلا كيف
على ظنونهم الفاسدة ويدل على ان القوم كانوا فى بعد من الذهن انهم لما راوا
اثر القدرة فى فرق البحر بهم ثم مروا على اصنام طلبوا مثلها فقالوا اجعل لنا
الها كما لهم آلهة فلما زجرهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم فظهر المستور بعباداتهم
العجل والذى حملهم على هذا الشيئان احدهما جهلهم بالخالق والثانى انهم ارادوا
ما يكون اليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود
ما اجترءوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء وقولهم يد الله
مغلولة ومن تلبيسه عليهم انهم قالوا لا يجوز نسخ الشرايع وعلموا ان من دين آدم
جواز نكاح الاخوات وذوات المحارم والعمل فى يوم السبت ثم نسخ ذلك
بشريعة موسى عليه السلام قالوا اذا امر الله بشى كان حكمه فلا يجوز تغييره
قلنا قد يكون التغيير فى بعض الاوقات حكمة فان تقليب الادمى من صحة الى مرض ومن
حياة الى موت كله حكمة وقد خطر عليكم العمل يوم السبت واطلق لكم يوم الاحد
وهو من جنس ما انكرتم وقد امر الله ابراهيم بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك ثم حملهم
ابليس على عناد المحض فجحدوا ما فى كتابهم من صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وغيروا ذلك وقد امروا ان يؤمنوا به ورضوا بعذاب الاخرة فعلماؤهم
عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب انهم غيروا ما امروا به وحرفوا وانوا بما يريدون
فاين المعبود فيه بمن يترك الامر ويعمل بالهوى ثم انهم كانوا يخالفون موسى و
يعيبونه حتى قالوا هو اورواتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة
اوريا وفي الحديث عن ابي هريرة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بيت
المدارس فقال اخرجوا الي اعلمكم فقالوا عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده
بدينه وبما انعم الله عليهم واطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام اتعلم
ان رسول الله قال اللهم نعم فان القوم ليعرفون ما اعرف وان صفتك
ونعتك لمبين في التورية ولكنهم حسدوك قال فما يمنعك انت قال اكره
قومي وعسى ان يتبعوك ويسلموا فاسلم وعن عبد الرحمن بن عوف عن محمود
بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش قال كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل
قال فخرج علينا من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى وقف على مجلس
بني عبد الاشهل قال سلمة وانا يومئذ احدث من فيهم سنا على بردة مضطجعا
فيها فعبا اهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار
فقال ذلك لقوم اهل شرك واصحاب اوثان لا يرون ان بعثا كائن
بعد الموت فقالوا ويحك يا فلان ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون
بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذي يحلف له

لو وان له لحظة من تلك النار اعظم تنور فى الدار لجيونه ثم يدخلونه اياه فيطيقونه
عليه وان نجوا من تلك النار غدا قالوا له ويحك ما اية ذلك قال نبى مبعوث
من نحو هذه البلاد واشار بيده نحو مكة واليمن قالوا متى تراه قال نظر الى واحد منهم
احدثهم سنا فقال ان يستفد هذا الغلام عمره يدرك قال سلمة فوالله ما ذهب
الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حى بين اظهرنا فامنا به
وكفر به بغيا وحسدا فقال ويلك يا فلان الست قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن
ليس به

ذكر تلبيسه على النصارى

تلبيسه عليهم كثير فمنه ذلك انه اوهمهم ان الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية
اصحاب يعقوب والملكية اهل دين الملك والنسطورية اصحاب نسطور ان
الله جوهر واحد اقانيم ثلثة فهو واحد فى الجوهرية ثلثة الاقنومية فاحد الاقانيم
عندهم الاب والاخر الابن والاخر روح القدس فبعضهم يقول ان الاقانيم
خواص بعضهم ويقول صفات بعضهم ويقول اشخاص وهولاء قد نسوا انه لو كان
الاله جوهرا لجاز عليه ما يجوز على الجوهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون
والالوان ثم عقل سول لبعضهم ان المسيح هو الله قال ابو محمد النوبختى زعمت الملكية
واليعقوبية ان الذى ولدت مريم هو الاله وسول الشيطان لبعضهم ان المسيح
ابن الله وقال المسيح جوهر ان احدهما قديم والاخر محدث ومع قولهم هذا انهم
المسيح يقرون بحاجته الى الطعام ولا يختلفون فى انه صلب ولم يقدر على الدفع

استغفلهم

عن نفسه ويقولون انما فعل هذا بالناسوت فهذا وقع بالناسوت ما فيه من اللاهوت
ثم لبس عليهم امر نبينا صلى الله عليه وسلم انه نبي الا انه مبعوث الى العرب خاصة
وهذا تلبيس ابليس استغفلهم فيه لانه متى ثبت انه نبي فالنبي لا يكذب وقال
بعثت الى الناس كافة وقد كتب الى قيصر وكسرى وشابور وملوك الاعاجم
ومن تلبيس ابليس الى اليهود والنصارى انهم قالوا لا يعذبنا الله لاجل اسلافنا
فمنا الانبياء والاولياء فاخبره الله عنهم بذلك نحن ابناء الله واحباؤه اي منا
ابنه عزير وعيسى وكشف هذا التلبيس ان كل شخص يطالب بحق الله عليه فلا يدفعه
عنه ذو قرابة ولو تعدت المحبة الشخص الى غيره لوضع القرابة لتعدي البغض وقد
قال نبينا صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة لا اغني عنك من الله شيئا وانما فضل
المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم ان محبة الله تعالى للعبد ليست تشفع
كمحبة الآدميين بعضهم بعضا اذ لو كانت كذلك كان الامر يحتمل والله اعلم

ذكر تلبيسه على الصابئين

اصل هذه الكلمة اعني الصابئين من قولهم صبأت اذا خرجت من شيء الى شيء و
صبأت النجوم اذا ظهرت وصاباته اذا خرج والصابئين الخارجين من دين
وللعلماء في مذهبهم عشرة اقوال احدها انهم قوم من النصارى والمجوس رواية
سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد والثاني انهم بين اليهود والمجوس رواه
ابن ابي نجيح عن مجاهد والثالث انهم بين اليهود والنصارى رواه القسم بن

ابى نجزه عن مجاهد والرابع انهم صنف من النصارى الين قولا منهم رواه ابو صالح
عن ابن عباس والخامس انهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القسم ايضا عن
مجاهد والسادس انهم كالمجوس قاله الحسن والسابع انهم فرقة من اهل الكتاب يقرءون
الزبور ذكره ابو العاليه والثامن انهم قوم يصلون القبلة ويعبدون الملايكه
ويقرءون الزبور ذكره ابو العاليه قاله قتاده ومقاتل والتاسع انهم طايفة
من اهل الكتاب قاله السدى والعاشر انهم كانوا يقولون لا اله الا الله وليس
عمل وكتاب ولا نبى الا قول لا اله الا الله قاله ابن زيد هذه اقوال المفسرين ؛
فاما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فمنهم من يقول انه هناك هيولى
كان لم تزل صانعا يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال اكثرهم العالم يحدث
وسموا الكواكب ملايكة وسماما قوم الله وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات
وهم يدعون ان بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت رجل وزعم بعضهم انه
لا يوصف بالله الا بالنفى دون الاثبات فيقال ليس بمحدث ولا مولف ولا
لا جاهل ولا عاجز قالوا الان لا يقع تثنية ولهم تعبدات فى شرايع منها انهم زعموا
ان عليهم ثلث صلوات فى كل يوم اولها ثمان ركعات وثلث سجدات فى ركعة
والقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانية خمس ركعات والثالثة كذلك
وعليهم صيام شهر اوله لثمان ليال يمضى من اذار وسبعة ايام اولها سبع بقين
من كانون الاول وسبعة اولها لثمان ليال تمضين من شباط ويختمون صيامهم ؛

بالصدقة والذبايح وحرموا لحم الجزور وفي خرافات تضيع الزمان بذكرها و
زعموا ان الارواح الخيرة تصعد الى الكواكب الثابتة والى الضياء وان الشريرة
تنزل الى اسفل الارض والى الظلمة قال بعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وان الثواب
والعقاب في التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج الى تكلف ردها اذ هي دعاوى
بلا دليل وقد حسن ابليس لاقوام من الصابئين انهم راوا الكمال التحصيل مناسبة
بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال طهارات وقوانين ودعوات
واشتغلوا بالتنجيم والسحر قالوا لابد من متوسط بين الله وبين خلقه من تعريف
المقارن والاينار للمصالح الا ان ذلك المتوسط ينبغي ان يكون روحانيا لاجسمانيا
قالوا فنحن نحصل لانفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك
وسيلة لنا اليه وهولاء لا ينكرون بعث الاجساد

ذكر تلبيسه على المجوس

قال يحيى بن بشر النهاوندي كان اول ملوك المجوس كيومرث فجاءهم بدينهم
ثم تتابع المدعون للنبوة حتى اشتهر بها زراوشت وكانوا يقولون الله تعالى
عن ذلك شخص روحانيا ظهر فظهرت معه الاشياء روحانية تامة فقال لا مهما
لغيري ان يبدع مثل هذه التي ابتدعتها فتولد من فكرته هذه الظلمة اذ كان فيه
جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة العالية وكان فيمن سن النار زراوشت
عبادة النار والصلوة للشمس يتاولون فيها انه ملكه العالم وهي التي ياتي
بالنهار

بالنهار و يذهب بالليل و يجي النبات و الحيوانات و تر و الحرارات الى
اجسادها و كانوا لا يدفنون موتاهم في الارض تعظيما لها و يقولون سنها تنشو
الحيوانات و لا تقدرها و كانوا لا يغتسلون بالماء تعظيما له قالوا ان به حيوة
كل شئ الا ان يستعملوا قبله بول البقر و نحوه و لا يتوقون فيه و لا يدرون فيه
و لا يرون قتل الحيوانات و ذبحها و كانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به
و اذا كان عتيقا كان اكثر بركة و يستحلون فروج الامهات و الابن احرى
بتسكين شهوة امه و اذا مات زوج المرأة فابنه اولى بالمرأة فان لم يكن
ابن التي اى رجل من مال الميت و يجبرون الرجل ان يتزوج بامية و الف و اذا
اراد ت الحايض ان يغتسل و غت و ينارا الى الهربد ليحملها الى بيت النار
و يقيمها على اربع و ينظفها بسيابته و اظهر هذا الامر مزدك في ايام قباد
و اباح النساء لكل من شاء و نكح نساء قباد ليقتدى بهم العامة فيفعلوا به
بالنساء مثله فلما بلغ الى ام نوشيروان قال اخرجها الى فانك ان منعتني
شهوتي لم يتم ايمانك فهم باخراجها فجعل انوشروان يبكي و يقبل يدى مزدك
و يقبل رجليه بين يدى ابيه قباد و يسأله ان يهب له فقال قباد لمزدك
الست تزعم ان المومن لا يرد عن شهوته قال بلى قال فلما ترد انوشروان
عن شهوته قال قد وهبتها له ثم اطلق للناس اكل الميتة فلما ولى انوشروان
افنى المزدكية قال و من اقوال المجوس ان الارض لا نهاية لها من اسفلها و

وان السما خلقت من خلول الشياطين والرعد انما هو خرخر العفاريت المجوسة
في الافلاك الماسورة في حرف والجبال من عظامهم والبحر من ابوالهم ودمائهم
وتبع المجوس رجل في زمان انتقال دولة بني امية الى بني العباس فاستغوى
خلقا كثيرا وجرت له قصص يطول الامر بذكرها فهو اخر من ظهر للمجوس وذكر
بعض العلماء انه كان للمجوس كتب يدرسونها وانهم احدثوا دينا فرفعت
كتبهم ومن اظرف تلبيس ابليس عليهم انهم راوا في الافعال خيرا وشرا فقول
لهم ان فاعل الخير لا يفعل الشر فاثبتوا الهين وقالوا احدهما نور حكيم لا يفعل الا
الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل الا الشر على نحو ما ذكرناه عن الثنوية وقد
سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم الباري قديم ولا يكون منه الا الخير
والشيطان محدث ولا يكون منه الا الشر فيقال لهم اذا اقررتم بان النور
خلق الشيطان فقد خلق راس الشر وزعم بعضهم ان الخالق الذي هو النور
تفكر فكرة رديئة فقال اخاف ان يحدث في ملكي من يضادني وكانت فكرة
رديئة فحدث ابليس ان ينسب الى الرداءة بعد اثبات انه شريك وحكى
الثنوية ان بعضهم قال ان الخالق شك في شيء فكان الشيطان من ذلك
الشك وزعم بعضهم ان الاله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما تضاد وكانت
الدنيا مستقيمة من آفة والشيطان يعزل منها فاحتال ابليس حتى خرق السماء بجنوده
فهرب الرب عز وجل عن قولهم بملايكته فاتبعه ابليس حتى حاصره وحاربه

تمت

ثمنه الف سنة لا هو يصل اليه ولا الرب يدفعه ثم صالحه على ان يكون ابليس
وجنوده بالدنيا سبعة آلاف سنة فراى الرب ان الصلاح فى احتمال مكروه
ابليس الى ان ينقض الشرط فامن فى البلاد الى انقضايه ثم يعودون الى النعيم
وشرط ابليس عليه ان يمكنه من اشياء رديه فوقتها فى هذا العالم فانهما لما
فرغا من شرطهما اشهرا عدلين ودفعا سيفهما الى عدلين وقالا من نكث
قتلتماه من سيفه فى هذه بانات كثيرة تضيع الوقت بذكرها ولو لا ذكرها انتهى
تلبيس ابليس اليه ما اثر ما ذكر شئ من هذا التخليط والعجب انهم يجعلون
الخالق خيرا ثم يزعمون انه حدث منه فكره رديه فعلى قولهم يجوز ان يحدث
من فكره ابليس ملك ثم يقال لهم ايجوز ان يفى الشيطان بما ضمن فان قالوا
لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استيفاؤه وان قالوا نعم فقد اقروا بوجود الوفاء
للمحمود من الشرير وكيف اطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف
يجوز الفتك على الاله وهذه خرافات لولا التفرج بما صنعه ابليس
بالعقول ما كان نذكرها معنى فصل وقد كان قوم يقاربون هولاء فى الاعتقاد

ذكر تلبيس ابليس على المنجمين واصحاب الفلك

قال ابو محمد النوبختى ذهب قوم الى ان الفلك قديم لا صانع له قال وحكى
جالينوس عن قوم انهم قالوا ان الزحل وحده قديم وزعم قوم ان الفلك طبيعة
خامسة ليست فيه حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف

وان السما خلقت من خلول الشياطين والرعد انما هو خرخر العفاريت المجوسة
في الافلاك الماسورة في حرف والجبال من عظامهم والبحر من ابوالهم ودمائهم
وتبع المجوس رجل في زمان انتقال دولة بني امية الى بني العباس فاستغوى
خلقا كثيرا وجرت له قصص يطول الامر بذكرها فهو اخر من ظهر للمجوس وذكر
بعض العلماء انه كان للمجوس كتب يدرسونها وانهم احدثوا دينا فرفعت
كتبهم ومن اظرف تلبيس ابليس عليهم انهم راوا في الافعال خيرا وشرا فسول
لهم ان فاعل الخير لا يفعل الشر فاثبتوا الهين وقالوا احدهما نور حكيم لا يفعل الا
الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل الا الشر على نحو ما ذكرناه عن الثنوية وقد
سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم الباري قديم ولا يكون منه الا الخير
والشيطان محدث ولا يكون منه الا الشر فيقال لهم اذا اقررتم بان النور
خلق الشيطان فقد خلق راس الشر وزعم بعضهم ان الخالق الذي هو النور
تفكر فكرة رديئة فقال اخاف ان يحدث في ملكي من يضادني وكانت فكرة
رديئة فحدث ابليس ان ينسب الى الرداءة بعد اثبات انه شريك وحكي
الثنوية نحو ان بعضهم قال ان الخالق شك في شيء فكان الشيطان من ذلك
الشك وزعم بعضهم ان الاله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما تضاد وكانت
الدنيا سقيمة من آفة والشيطان يعزل منها فاحتال ابليس حتى خرق السماء بجنوده
فهرب الرب عز وجل عن قولهم بملايكته فاتبعه ابليس حتى حاصره وحاربه

ثم

ثمنه الف سنة لا هو يصل اليه ولا الرب يدفعه ثم صالحه على ان يكون ابليس
وجنوده بالدنيا سبعة آلاف سنة فرأى الرب ان الصلاح فى احتمال مكروه
ابليس الى ان ينقض الشرط فامن فى البلاد الى انقضايه ثم يعودون الى النعيم
وشرط ابليس عليه ان يمكنه من اشياء رديئة فوقتها فى هذا العالم فانهما لما
فرغا من شرطهما اشهر العدلين ودفعا سيفهما الى عدلين وقالا من نكث
قتلتاه من سيفه فى هذه بانات كثيرة تضيع الوقت بذكرها ولولا ذكرها انتهى
تلبيس ابليس اليه ما اثر ما ذكر شئ من هذا التخليط والعجب انهم يجعلون
الخالق خيرا ثم يزعمون انه حدث منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز ان يحدث
من فكره ابليس ملك ثم يقال لهم اليجوز ان يفى الشيطان بما ضمن فان قالوا
لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استيفاؤه وان قالوا نعم فقد اقروا بوجود الوفاء
المحمود من الشرير وكيف اطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف
يجوز الفتك على الاله وهذه خرافات لولا التفرج بما صنعه ابليس
بالعقول ما كان نذكرها معنى فصل وقد كان قوم يقاربون هؤلاء فى الاعتقاد

ذكر تلبيس ابليس على المنجمين واصحاب الفلك

قال ابو محمد النوبختى ذهب قوم الى ان الفلك قديم لا صانع له قال وحكى
جالينوس عن قوم انهم قالوا الزحل وحده قديم وزعم قوم ان الفلك طبيعة
خامسة ليست فيه حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف

ولا ثقيل وكان بعضهم يرى ان الفلك جوهر ناري وانه اختطف من الارض
بقوة دورانية وقال بعضهم الكواكب من جسم يشابه الحجارة وقال بعضهم هي من
غيمة ينطفي كل يوم ويستنير بالليل مثل فحم المشتعل وينطفي وقال بعضهم جسم القوم
مركب من نار وهوى وقال اخرون الفلك من ماء وريح والنار وانه بمنزلة
الكرة وانه يتحرك حركتين من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق
قالوا وزحل يدور الفلك في نحو من ثلثين سنة والمشتري في نحو من اثنا عشر
سنة والمريخ في نحو من سنتين والزهرة والعطارد في سنة والقمر في
ثلثين يوما وقال بعضهم افلاك الكواكب سبعة فالذي يلينا فلك القمر ثم فلك
العطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري
ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة واختلفوا في مقادير اجرام الكواكب
فقال اكثر الفلاسفة اعظمها جرما الشمس وهو نحو من مائة وستة وستين مرة مثل
الارض والمشتري نحو من والكواكب الثابتة تقدار كل واحد منها نحو من اربعة
وتسعين مرة مثل الارض والمشتري نحو من اثنين وثمانين مرة مثل الارض و
المريخ نحو من مرة ونصف مثل الارض وقالوا ومن كل موضع من اعلى الفلك
الى ان يعود اليه مائة الف فرسخ وستمائة الف فرسخ واربعة وستين فرسخا
وقال بعضهم الفلك جسم والسماء حيوان وفي كل كوكب نفس قال قدماء
الفلاسفة والنجوم يفعل الخير والشر وتعطي وتمنع على طبايعها من السعود والنحس

ويلوم

ويونث في النفوس والابدان وانباحيته فعالة

ذكر تلبيسه على جاحدي البعث

واستحالوا — قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الاعادة بعد البلى واقام لهم شبهتين احدهما انه ارادهم ضعف المادة والثانية اختلاط الاجزاء المتفرقة في اعماق الارض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهيأ اعادته وقد حكى القرآن شبههم فقال تعالى في الاولى أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم لمخرجون هيهات هيهات لما توعدون وقال في الثانية أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد والجواب عن شبههم الاولى ان ضعف المادة في الثاني وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة ثم ان اصل الادميين وهو من التراب على ان الله تعالى لم يخلق شيأ مستحسنا الا مادة سخيفة فانه اخرج هذا الآدمي من نطفة والطاووس من بيضة مدرة والطاقة الحمراء من الحبة العفنة فالنظر ينبغي ان يكون الى قوة الفاعل وقدرته لا الى صنف المواد بالنظر الى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد رأينا كالنمو في جمع المتمزق فان استحالة الذهب مع تبدده المتفرقة والتراب الكثير اذا القي عليها قليل من الزيبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الالهية التي من تأثيرها خلق شيء لا من شيء على انا لو قدرنا ان هذا التراب غير ما استحالت اليه الابدان لم يضر لان الآدمي بنفسه لا ببدنه فانه يتحلل ببدنه ويسمن ويتغير من صغر الى كبر وهو هو

شبههم

ومن اعجب الادلة على البعث ان الله تعالى قد اظهر على ايدى انبيائه ما اعظم من البعث وهو قلب العصا حيوانا واخراج ناقة من صخرة واظهر حقيقة البعث على يدى عيسى عليه السلام وقد رددناه هذا الشر حافى الرد على الفلاسفة

فصل وقد لبس ابليس على اقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فتردوا فى البعث فقال قايلهم وليس الى ربى وقال العاص بن وايل لاوتين مالا وولدا وانما قالوا هذا الموضع لانكم وليس عليهم ابليس فى ذلك فقالوا ان كان بعث فنحن على خير لان من انعم علينا فى الدنيا بالمال لا يمنعناه فى الاخرة وهذا غلط منهم لانه يجوز ان يكون الاعطاء استدراجا او عقوبة والانسان قد يحب ولده ويطلق فى الشهوات عبده فنسال الله العافية

ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ

وقد لبس ابليس على اقوام فقاله بالتناسخ وان ارواح اهل الخير اذا خرجت دخلت فى ابدان خيرة فاستراحت وارواح اهل الشر اذا خرجت تدخل فى ابدان شريرة فيحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر فى زمن موسى وفرعون وقد ذكر ابو القاسم البلخى ان ارباب التناسخ لما راوا الم الاطفال والسباع والبهايم استحال عندهم ان يكون ليمتحن به غيرها او ليعوض اولا لمعنى اكثر من انها مملوكة فصح عنهم ان ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى يقولون الطبايع اربع هيولى مركبة ونفس وعقل

وهيولا

وهيولى مرسلة فالمركبة هى الرب الاصغر والنفس هى الهيولى الاصغر و
العقل الرب الاكبر والهيولى المرسلة هو ايضا اكبر وان الانفس اذا فارقت
الدنيا صارت الى الرب الاصغر وهو النفس الهيولى المركبة فان كان محسنة صافية
قبلها فصفاها حتى يخرجها الى الهيولى الاصغر وهو النفس ثم تفيض تلك الروح
بجاوره النفس حتى يصير الى الرب الاكبر فيخلصه الى الهيولى الاكبر فان كان
محسنا تام الاحسان اقام عنده فى العالم البسيط وان كان محسنا غير تام
اعاده الى الرب الاكبر ثم يعيده الرب الاكبر الى الهيولى الاصغر ثم يعيده الهيولى
الى الرب الاصغر فيخرجه مما زجا لشعاع الشمس حتى يقبله حشيشة يأكلها
الانسان فيتحول انسانا وتولد ثانيا فى العالم وهكذا يكون حاله فى موته
واما المسيئون فانهم اذا ابلغت نفوسهم الى الهيولى الاصغر انعكست فصارت
حشيش يأكلها البهايم فيصير الروح فى بهيمة ثم تنسخ فى بهيمة اخرى عند
موت تلك البهيمة ولا يزال منسوخا متردد افى العالم ويعود كل الف
سنة فى صورة الانس فان لحق فى صورة الانس لحق بالمحسنين

قلت انظروا الى هذه التزيينات التى زينتها لهم ابليس على ما عزله
لا يستند الى شئ قال اخبرنا محلب ظاهر يرفعه الى على بن نطيف المتكلم
قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الامامية يعرف بابى بكر بن القلاس فحدثنا
انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب اهل التناسخ

قال فوجدته بين يديه سوارا سود وهو يمسحها ويحك بين عينيها وانبكا
وعينها تدمع كما جرت عادت السنانير وهو يبكي بكاء شديدا فقلت له
لم تبكي فقال ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحها هذه امحالا شنك
وانما تبكي رويتها الى حسرة قال واخذ يخاطبها خطاب من عنده انها تفهم عنه
وجعلت السنور تقليلا تقليلا فقلت افتفهم له فهي تفهم عنك ما تخاطبها به فقال
نعم فقلت افتفهم انت عنها صياحها قال لا قلت فاذا انت المسوخ
وهي الانسان اللهم عافنا واعف عنا

ذكر تلبيسه على اتباعه على العقايد والديانات

دخل ابليس على هذه الامة في عقايدها من طريقين احدهما للاباء والاسلاف
والثاني الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخايض عن الوصول الى عمقه
فاوقع اصحاب هذا القسم في فنون من التخليط فاما الطريق الاول فان
ابليس زين للمقلدين ان الادلة تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم
وقد ضل في هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فان اليهود والنصارى
قلدا باءهم وعلماءهم وكذلك اهل الجاهلية واعلم ان العلة التي بها مدحوا
التقليد بها يذم لانه اذا كانت الادلة تشتبه والصواب يخفى وجب
حجر التقليد لانه يوقع في ضلال وقد ذم الله تعالى الواقفين مع تقليد اباءهم
واسلافهم فقال تعالى بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون

مقتدون قل او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم المعنى اتبعونهم ثقة
فيما قلدفيه وفى التقليد ابطال منفعة العقل لانه انما خلق للتامل والتدبر و
قبيح بمن اعطى شمعة يستضئ بها ان يطفيها ويمشى فى الظلم واعلم ان عموم
اصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم شخص فيتبعون قوله من غير تدبر لما
قال وهذا عين الضلال لان النظر ينبغى ان يكون الى القول لا الى القايل كما قال
على رضى الله عنه للحرث بن حوط وقد قال له اتظن ان طلحة والزبير كان
على باطل فقال له يا حارث انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف الا بالرجال اعرف
الحق تعرف اهله وكان احمد بن حنبل يقول من ضيق علم الرجل ان يقلد فى
اعتقاده رجلا ولهذا اخذ احمد يقول زيد فى الحد وترك قول ابى بكر الصديق
فان قال قايل فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب ان
دليل الاعتقاد ظاهر على ما اشرنا عليه فى ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى
على عاقل فاما الفروعيات فانها لما كثرت حوادثها واختاص علم
العامى عرفانها وقرب امر الخطا فيها كان اصلح ما يفعله العامى فيها
التقليد لمن قدر ونظر الا ان اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده

فصل واما الطريق الثانى فان ابليس لما تمكن من الاغتياء غورطهم فى
التقليد وساقهم سوق البهايم راى خلقا فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستعواهم
على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عنده الجمود على التقليد وامره بالنظر ثم استعوبه

باب ٥

كلام من هولاء فمنهم من اراه ان الوقوف مع ظواهر الشرع عجز فاتهم
الى مذهب الفلاسفة ولم يزل يهولاء حتى خرجوا عن الاسلام وقد
سبق ذكرهم فى الرد على الفلاسفة ومن هولاء من خزله ان لا يعتقد الا
ما ادركه حواسه فيقال لهولاء بالحواس علمتم صحة قولكم فان قالوا نعم
كابروا الان حواسنا لم تدرك ما قالوا اذ ما يدرك بالحواس لا يقع
فيه خلاف وان قالوا بغير الحواس نقضوا قولهم ومنهم من يقيده ابليس عن
التقليد وحسن له الخواص فى علوم الكلام والنظر الى اوضاع الفلاسفة ؛
ليخرج بزعمه من عمار العوام وقد تنوعت احوال المتكلمين فافضى الكلام ؛
باكثرهم الى الشكوك وببعضهم الى الالحاد ولم يسكت القدماء من فقهاء
هذه الامة عجزا عن الكلام ولكنهم راوا انه لا يشفى عليلا ثم يرد الصحيح عليلا ؛
فامسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه حتى الشافعى لان يبتلى العبد بكل ما نهى
الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر فى الكلام قال واذا سمعت
الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام
ولا دين له قال وحكى فى اهل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى
العشائر والقبايل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة
واخذ فى الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح صاحب الكلام ابدا
علماء الكلام زنادقة قلت كيف لا يذم الكلام وقد افضى بالمعتزلة

الى انهم قالوا ان الله تعالى يعلم جمل الاشياء و لا يعلم بتفاصيلها و قال جهم
بن صفوان علم الله و قدرته و حياته محدثة و حكى ابو محمد النوبختي عن جهم
انه قال ان الله عز و جل ليس بشيء و قال ابو علي الجبائي و ابو هشام و من
تابعهما من البصريين المعلوم شيء و ذات و نفس و جوهر و بياض و حمرة
و صفرة و ان الباري لا يقدر على جعل الذات ذاتاً و لا العرض عرضاً
و لا الجوهر جوهراً و انما هو قادر على اخراج الذات من العدم الى الوجود
و حكى القاضي ابو يعلى في كتاب المقتبس قال قال العلاف المعتزلي لنعيم
اهل الجنة و عقاب اهل النار اخراً لا يوصف الله بالقدرة على رفعه و لا يصح
الرغبة حينئذ اليه و لا الرهبة منه لانه لا يقدر ان افعل على خير و لا شر
و لا نفع و لا ضر قال و يبقى اهل الجنة جمودا سكوتا و لا ينبضون بكلمة و لا
يتحركون حركة و لا يقدرون و لا ربهم على فعل شيء من ذلك لان الحوادث
كلها لا بد لها من اخر ينتهي اليه لا يكون بعده شيء قلت و قد ذكر ابو القاسم
عبد الله في كتاب المقالات ان ابا الهذيل اسمه محمد بن الهذيل العلاف
و هو من اهل البصرة من عبد القيس مولى فانفرد بان قال اهل الجنة ينقطع
حركاتهم فيصيرون الى سكون دايم و ان لما يقدر عليه نهاية و لو خرج الى الفعل
و لن يخرج استحال ان يوصف الله بالقدرة على غيره و كان يقول ان
علم الله هو الله و ان قدرة الله هي الله و قال ابو هشام من مات

من كل شئ الا انه شرب جرعة من خمر فانه يعذب كعذاب اهل الكفر ابدا و
قال هشام الفوطي النظام ان الله لا يقدر على عين الشر و ان ابليس يقدر على
الخير و الشر و قال هشام الفوطي ان الله لا يوصف بانه عالم لم يزل و قال
بعض المعتزلة يجوز على الله الكذب كذب قائله الا انه لم يقع منه و قال
المجبرة لا قدرة للادمي بل هو كجماد مسلوب الاختيار و العقل و قالت
المرجية ان من اقر بالشهادتين و اتى بكل المعاصي لم يدخل النار اصلا و
و خالفوا الاحاديث الصحاح في اخراج الموحدين من النار قال ابن عقيل ما اشبه
ان يكون واضع الارجاء زنديقا فان صلاح العالم باثبات الوعيد و اعتقاد
الجزاء و المرجية لما لم يمكنهم جحود الصانع لما فيه من نفور الناس و مخالفته
اسقطوا فايدة الاثبات و هي الخشية و المراقبة و هدموا سياسة الشرع
فهو شر طايفة على الاسلام قلت و تبع ابو عبد الله محمد بن كرام فاختار
من المذاهب ارواءها و من الاحاديث اضعفها و مال الى التشبيه و اجاز حلول
الحوادث في ذات الباري سبحانه و قال الله تعالى لا يقدر على اعادة
الاجسام و الجواهر و انما يقدر على ابتدائها و قالت السالمية ان الله يتجلى
يوم القيمة بكل في معناه فيراه الادمي آدميا و الجني جنيا و قالوا الله لو ظهر
بطل التدبير قلت اعوذ بالله من نظر و علوم اوجبت هذه المذاهب
القبيحة و قد زعم ارباب الكلام انه لا يتم الايمان الا بمعرفة باب توبة و هؤلا

ء

على الخطاء لان الرسول صلى الله عليه وسلم امر بالايمان ولم يامرنا ببحث
المتكلمين ودرجة الصحابة رضى الله عنهم الذين شهد لهم الشارع بانهم خير الناس
على ذلك وقد ورد ذم الكلام على ما اشرنا اليه وقد نقل الينا اقلاع بعض
المتكلمين عما كانوا اليه وقبح غوايله اخبرنا ابو منصور الفرار مرفوعا الى سليمان
بن الاشعث قال سمعت احمد بن سنان قال كان الوليد ابن ابان الكرابيسى
خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه تعلمون احدا اعلم بالكلام منى قالوا لا قال فانتهوني
فتنتهوني قالوا لا قال فانى اوصيكم اقبلوني قالوا نعم قال عليكم بما عليه اصحاب
الحديث فانى رايت الحق معهم وكان ابو المعالى الجوينى يقول لقد خلت اهل
الاسلام وعلومهم وركبت البحر الاعظم وخضت فى الذى نهوا عنه كل ذلك
فى طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل الى كلمة الحق عليكم
بدين العجايز فان لم يدركنى الحق بلطيف بره فامرت على دين العجايز ويختم
عاقبة امرى عند الرحيل بكلمة الاخلاص فاويل لابن الجوينى وكان يقول لاصحابه
يا اصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغلت
به وقال ابو البقاء بن عقيل لبعض اصحابه انا اقطع ان الصحابة ماتوا وما عرفوا
الجوهر والعرض فان رضيت ان يكون مثلهم فكن وان رايت ان طريق
المتكلمين اولى من طريقة ابى بكر وعمر فليس كما رايت وقال قد افضى الكلام باهله
الى الشكوك ويكفر بعضهم الى الالحاد يشم رايحة الالحاد من فلتات كلام

المتكلمين واصل ذلك بانهم ما قنعوا بما قنعت به الشرايع وطلبوا الحقايق وليس في
قوة العقل ادراك ما عند الله تعالى من الحكم التي انفرد بها ولا اخرج من علمه
لخلقه ما علمه هو من حقايق الامور قال وقد بلغت في الاصول بطول عمري ثم عدت
الفهقرى الى مذهب الكتب وانما قالوا ان مذهب العجايز اسلم لانهم لما انتهوا
الى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما يشفي العليل من التعليلات والتاويلات
فوقفوا مع مراسم العقل وحجزوا عن القول بالتعليل وادعى العقل ان فوقه
حكمة الهية وبيان هذا ان يقول احب ان يعرف اراد ان يذكر فيقول
قايل هذا اشتغف اتصال النفع هل دعاه داع الى افاضة الاحسان ومعلوم
ان الداعي عوارض على الذات تطلبات من النفس وما يفعل ذلك الا لان
يدخل عليها داخل من سوق الى تحصيل ما لم يكن لها وهي اليه محتاجة فاذا اوجد
ذلك الغرض سكن الشغف وفتر الداعي وذلك الحاصلة تسمى غنى و
القديم لم يزل موصوفا بالغنى منوطا بالاستقلال بذاته العسر عن استزاده
او عارض ثم اذا رايناه نظرنا في انعامه رايناه مسحوبا بالبغض والالام
واذى الحيوانات فاذا رام العقل ان يعلل بالانعام جاء تحقيق النظر فراى
ان الفاعل قادر على الصفاء والاصفاء وراءه بادلة العقل عن البحل الموجب
ما يقدر على تحصيله وعن الدفع على دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد
فاذا عجز عن التقليد كان التسليم اولى وانما دخل الفساد من الخلق افيضوه

للعوايد

للفوايد ودفع المضار على مقتضى قدرته ولو مزجوا مع ذلك العلم بانه لا يفعل
نقوسهم التسليم بحسب حكمته فغاشوا بجبوحة التفويض بلا اعتراض فصل وقد وقف
اقوام مع الظاهر فحملوا على مقتضى الحس قال بعضهم ان الله جسم وبهذا ذهب هشام
بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد بن الخليل ويونس بن عبد الرحمن ثم اختلفوا فقال بعضهم
جسم كالاجسام ومنهم من قال لا كالاجسام ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور ومنهم
من قال هو على هيئة الشبيكة البيضاء هكذا كان يقول هشام بن الحكم وكان يقول ان
الاله سبعة اشبار بشبر نفسه وانه يرى ما تحت الثرى بشعاع يتصل منه بالثرى
قلت وما العجب بحده بسبعة اشبار حتى علمت انه جعل كالاد ميين فالاد مي طوله سبعة
اشبار بشبر نفسه وذكر ابو محمد النوبختي عن الجاحظ عن النظام ان هشام بن الحكم
قال في التشبيه في شبه واحدة خمسة اقاويل قطع في اخرها ان معبوده بشبر نفسه
سبعة اشبار وان قوما قالوا انه على هيئة الشبيكة وان قوما قالوا هو على هيئة
البلورة الصافية المستديرة الاستدارة التي من حيث اشرت انها على هيئة واحدة
وقال هشام هو متناهي الذات حتى قال ان الجبال اكبر منه وقال وله ماهية لا يعلمها هو
وهذا يلزمه ان يكون له كيفية ايضا وكمية وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقر ان
الماهية لا يكون الا لمن كان ذا جنس وله نظاير محتاج ان يفرد نفسها وبيان عنها و
الحق تعالى ليس بذي جنس ولا مثل له ولا يجوز ان يوصف بان ذاته متناهية لا على معنى
انه ذاهب في الجهات بلا نهاية انما المراد انه ليس بجسم ولا جوهر فيلزمه النهاية